



## المقدمة

### Introduction

بدأ العمل في هذا الكتاب في صيف عام 1994م أثناء ندوة نوعية في كلية التربية بجامعة دنفر، حيث تحدث جون عن ملاحظاته الشخصية حول دراسة نوعية كان قد أنجزها (دراسة حالة لردود فعل طلبة الجامعة حول حادثة إطلاق طالب للعيارات النارية في الحرم الجامعي، Asmussen & Creswell, 1995). ويدرك جون أنّ هذه الحادثة ستثير أيضاً من النقاش والتحليل، والدروس المستفادة من هذه القضية. وتتلخص هذه الحادثة بدخول طالب يحمل بندقية إلى أحد الفصول الدراسية في جامعة مد وسترن (Midwestern university) وحاول إطلاق النار على زملائه، ولحسن الحظ فقد تعطلت بندقيته ولم تنفجر طلقاتها، وفرّ المسلح وتمّ القبض عليه على بعد أميال من الجامعة، وفي أثناء المناقشة تدخل هاري ولكوت (Harry Wolcott) من جامعة أوريغون حيث اقترح بأن يتمّ بحث القضية استناداً إلى منحنى الأنثروبولوجيا الثقافية، وهنا تدخل الدكتور ليس جود شايلد (Les Goodchild) من جامعة دنفر حيث اقترح بأن تتمّ دراسة حالة الطالب من ناحية تاريخية، وبذلك يمكن دراسة القضية باستخدام ثلاثة أساليب نوعية، ومن هنا ظهرت فكرة كتاب **البحث النوعي** (سيتمّ سرد تعريف المصطلحات الواردة في الخط الغامق في ملحق خاص لتعريف المصطلحات) وقد بدأ جون كتابة الطبعة الأولى من هذا الكتاب مسترشداً بسؤال وحيد هو: ما هو منهج البحث النوعي؟ وما إجراءات دراسته؟.

### مسوغات وأغراض الكتاب Purpose and Rationale for the Book:

هذا الكتاب هو الآن في طبعته الرابعة، ونحن ما زلنا بصدد الإجابة عن السؤال السابق. سعى جون في هذه الطبعة إلى إدراج خمسة أساليب مختلفة للبحث النوعي، هي: الروائي (Narrative)، والظاهري (Phenomenology)، والنظرية المُجذّرة (Grounded Theory)، والآنثوغرافي (Ethnography)، ودراسات الحالة (Case Studies)، ووضعها جنباً إلى جنب حتى نتّمكن من رؤية الفروقات فيما بينها.

وهذه الاختلافات ستبدو أكثر وضوحاً عند استخدامها في مراحل البحث، بما في ذلك مقدمة الدراسة، وأهدافها، والأسئلة البحثية، وجمع البيانات وتحليلها، وكتابة التقارير، ومعايير التحقق من الصدق والتقييم، وعلى سبيل المثال من خلال الأبحاث النوعية في المجلات العلمية يمكننا أن نرى أن الأسئلة البحثية التي تم صياغتها اعتماداً على النظرية المُجَدَّرة تختلف عن تلك المصاغة وفقاً للأسلوب الإثنوغرافي.

إن التمازج المختلف لأساليب البحث النوعي هو ما يميّز هذا الكتاب عن غيره من كتب البحث النوعي؛ حيث تركز معظم كتب البحث النوعي على أسلوب واحد (كالبحث الإثنوغرافي أو النظرية المُجَدَّرة) من مناهج البحث وتحاول إقناع القراء بأهميته وقيّمته العلمية، وقد يبدو هذا منطقياً في عالمنا الأكاديمي المتخصص، ولكن الطلبة والباحثين المبتدئين في البحث النوعي بحاجة إلى اختيار الأسلوب الأنسب للمشكلة البحثية التي يدرسونها، وللمنحى البحثي الذي يفضّلونه، ولحسن الحظ يوسّع هذا الكتاب مجالات البحث النوعي، ويوفر للقراء الفرصة للانغماس في هذه الأساليب؛ فهو يقدم للباحث النوعي خيارات متنوعة تساعد في إنجاز بحثه النوعي واختيار الأنسب منها لحل مشكلته البحثية. ونأمل أن يوفر هذا الكتاب فهماً أكثر عمقاً لخطوات البحث النوعي وأوجه الشبه والاختلاف بين مناهج الاستقصاء (Approaches to Inquiry).

## ما الجديد في هذه الطبعة؟ What is New in This Edition?

لم يحدث تغيير على محتوى الطبقات الأولى والثانية والثالثة، أما هذه الطبعة فقد تضمنت الأفكار الجديدة الآتية:

- تمّ في الفصل الأول تحديث الكتب الرئيسة لتناسب مع تطور أساليب البحث النوعي، حيث تمّ اعتماد كتاب أو أكثر لكل أسلوب وكما يلي: الأسلوب الروائي (Clandinin, 2013)، والأسلوب الظاهراتي (van Manen, 2014)، أسلوب النظرية المُجَدَّرة (Corbin & Charmaz, 2014)، ومنهج دراسة الحالة (Yin, 2014).
- استناداً إلى التغذية الراجعة من المحكمين تمّت مراجعة الافتراضات الفلسفية والأطر العامة المستخدمة من قبل الباحثين النوعيين، والتوسع في توظيف الدراسات لتوضيح الفروق بين آليات تفسير الظواهر.
- تمّت الاستجابة في جميع فصول الكتاب لطلب المحكمين بتوفير أمثلة أكثر شمولاً وتنوعاً، كما تمّت إضافة قائمة بالمراجع في نهاية كل فصل لتوفير المزيد من القراءات لمساعدة القراء على تحديد أيّ القراءات هي الأنسب لاحتياجاتهم.
- تمّ التوسع في الفصل الثالث في عرض أخلاقيات البحث التي تتناسب مع كل أسلوب من أساليب البحث النوعي.

- تمّ إضافة جزأين في الفصل الثالث لإرشاد الباحثين النوعيين حول طريقة التفكير في دراساتهم؛ وذلك من خلال وصف سمات البحث وتصميمه الجيد.
- في الفصل الرابع تمّ وصف دقيق لخصائص كل أسلوب من أساليب البحث النوعي، وتمّت إضافة ملخص تقييمي لأبرز عناصر كل أسلوب في نهاية الفصل.
- في الفصل الخامس تمّ تحديث المراجع والدراسات التوضيحية المستخدمة كأمثلة على أساليب البحث النوعي، مثل: دراسة (Mac an Ghail & Haywood, 2015) التي استخدمت كمثال على البحث الإثنوغرافي، ودراسة (Frelin, 2015) التي استخدمت كمثال على دراسة الحالة.
- في الفصل السادس تمّت إضافة أمثلة لصياغة أهداف الدراسة، وصياغة أسئلة فرعية منبثقة عن السؤال الرئيس، والتوسع في الشرح حول التكامل بين عمليتي جمع البيانات ومعالجتها.
- إضافة المزيد حول أخلاقيات البحث العلمي المتعلقة بجمع البيانات بأداتي الملاحظة والمقابلة، وكتابة تقرير البحث.
- في الفصل الثامن تمّ التوسع في طرق تحليل البيانات لكل أسلوب من أساليب البحث النوعي، وإضافة عدد من المراجع الحديثة والبرمجيات الحاسوبية.
- في الفصل العاشر تمّ تحديث المعلومات حول أساليب التحقق من صدق وثبات كل أسلوب من أساليب البحث النوعي.
- أُضيفت في نهاية كل فصل قائمة تحقق؛ للتأكد من امتلاك المهارات الأساسية في البحث النوعي.
- في الفصل الأخير تمّت إعادة صياغة دراسة حادثة إطلاق النار في الحرم الجامعي لتناسب الأساليب المتعددة للبحث النوعي، وتحديد أهم التغيرات التي أُجريت لتناسب كل أسلوب.
- أُضيفت مراجع ودراسات حديثة في البحث النوعي.
- تمّ توضيح الاختلافات البسيطة التي تميّز كل أسلوب من أساليب البحث النوعي، والتركيز على عدم وجود طريقة واحدة فقط لإجراء الدراسات النوعية.
- لم تتمّ إضافة أساليب جديدة لأساليب البحث النوعي الخمسة؛ إلا أنه تمّ الحديث في الفصل الثاني عن بحوث يمكن اعتبارها بحوثاً نوعية، مثل: البحث الإجمالي (Action Research) (Kemmis & Wilkinson, 1998)، وتحليل الخطاب (Discourse Analysis) وتحليل المحادثة (Conversational Analysis) (Cheek, 2004)، والبحوث التي تمزج بين البحث الكمي والبحث النوعي (Saldaña, 2011) والتي نعتبرها نوعاً يختلف عن البحوث النوعية في منهجيته وإطاره النظري (Creswell & Plano Clark, 2011).

- تمّ الاستمرار بتزويد الكتاب بمصادر المعرفة حول البحث النوعي، وتضمين الكتاب بكشاف للمصطلحات الجديدة، وتزويد الكتاب بدراسات كأثلة على الأساليب المتعددة للبحث النوعي، وتوفير قائمة بالمراجع في نهاية كل فصل لزيادة المعرفة بالمحتوى الذي تمّ عرضه في الكتاب.
- ومن الجدير بالذكر أنه تمّ الإبقاء على المصطلحات التي استخدمت في الطبقات السابقة، وقد أُشير إلى تقسيمات البحث النوعي بالأسلوب (approach) في حين أشار كتاب آخرون إلى ذلك بالإستراتيجية (strategy) (Denzin & Lincoln, 2005)، أو الأنواع (varieties) (Tesch, 1990) أو الطرق (methods) (Morse & Richards, 2002). وقد استخدم مفهوم تصميم البحث للإشارة إلى الإجراءات المتبعة للإجابة عن أسئلة الدراسة، وجمع البيانات، وتحليلها، وتفسيرها، وكتابة تقرير البحث (Bogdan & Taylor, 1975). وفي هذا المجال يشير ين (Yin, 2009) أن تصميم البحث هو التسلسل المنطقي الذي يربط البيانات التجريبية بأسئلة الدراسة للوصول إلى الاستنتاجات. كما تمّ الإبقاء على العديد من المواضيع بدون أي تغيير وكما وردت في الطبعة الثالثة، مثل:
- لم يتمّ تغيير المحتوى الأساسي للموضوع.
- تمّ الإبقاء على العدالة الاجتماعية نظراً لأهميتها في البحث النوعي (SAGE Handbook of Qualitative Research (Denzin & Lincoln, 2011).

### علاقة المؤلفين بالبحث النوعي: Positioning Ourselves

تدرّب جون على البحث الكمي منذ (40) سنة، وفي منتصف الثمانينات من القرن الماضي عندما طُلب منه أن يدرّس مساق البحث النوعي في الجامعة وتطوع للقيام بذلك، وبعد عدة سنوات اصدر الطبعة الأولى من هذا الكتاب، وبمرور السنين ازدادت خبرته في البحث، وتخصص في منهجية البحث وإجراء دراسات اعتمدت البحث النوعي أو المزج بين البحث الكمي والبحث النوعي.

أما شيريل فقد تدرّبت على البحث الكمي في العلوم البيولوجية عندما كانت تدرّس العلوم في المدارس الثانوية؛ حيث بدأت بالتساؤل حول قصور البحث الكمي في تقييم تعلم الطلبة اعتماداً على نتائج الاختبارات المدرسية، فبدأت باستخدام مؤشرات نوعية تمّ الحصول عليها عن طريق التواصل مع الطلبة وأولياء أمورهم؛ مما استدعى العودة إلى دراسة أساليب البحث النوعي، والبحث الذي يمزج بين البحث الكمي والبحث النوعي.

هذه القاعدة التي بدأنا منها في الكتابة عن البحث النوعي؛ وذلك بالتركيز على منهجية البحث والتوسع في جمع البيانات، وتحليلها تحليلًا دقيقاً، واستخدام البرمجيات الحاسوبية، وقد أبدع جون في وضع طريقة فريدة في كتابة التقارير. وباعتبار شيريل باحثاً تطبيقياً ومقيماً للبرامج فقد عملت على بناء القدرات البحثية لدى طلبتها والأشخاص المعنيين في المؤسسات المتعددة.